

منطق اللغة الحجاجي في الحديث النبوي

"دراسة تداولية في أحاديث الترغيب والترهيب"

*The argumentative logic of language in the Prophet's hadith.**"A pragmatic study of hadiths of encouragement and intimidation"*مراد بوكولة^{1*}، د. صالح طواهري²¹ جامعة 08 ماي 1945 قالمة (الجزائر)، boukeloua.mourad@univ-guelma.dz² جامعة 08 ماي 1945 قالمة (الجزائر)، touahrisalah@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/04/24

تاريخ القبول: 2024/03/22

تاريخ الاستلام: 2023/10/30

ملخص: تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن عديد الآليات الحجاجية المنطقية التي وظفها النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث الترغيب والترهيب، هذه الأخيرة خاطبت العقل البشري باعتباره مناط التكليف وشرط صحة العبادات والمعاملات. ولما كان العقل يبني أحكامه وفق تصوره المنطقي جاءت لغة الخطاب النبوي مستندة إلى حجج وبراہين منطقية لا غنى عن المتلقي من الازدعان لها و الاقتناع بها، ومن ثم ترجمتها إلى أفعال إنجازية تجسد على أرض الواقع.

كلمات مفتاحية: الخطاب النبوي – الحجج المنطقية – الاقتناع – الانجاز.

Abstract:

This study seeks to reveal many of the logical argumentative mechanisms that the Prophet, may God bless him and grant him peace, employed in the hadiths of encouragement and intimidation. The latter addressed the human mind as the basis of obligation and the condition for the validity of acts of worship and transactions. Since the mind builds its rulings according to its logical perception, the language of the Prophet's speech was based on logical arguments and proofs, to which the recipient must submit and be convinced, and then translate them into accomplished actions that are embodied on the ground of reality.

Keywords: Prophetic speech; Logical arguments; Conviction ; Achievement.

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

لقد أوتي النبي صلى الله عليه و سلم جوامع الكلم فكان -كما عُرف عنه- أفصح العرب وأبلغهم قاطبة، وإنّ الفصاحة والبلاغة تقتضيان مقدرة المرء على الإبلّغ بالحجة الدامغة التي تنفذ إلى الأسماع والأذهان على حد سواء. و لما كانت قريش تعلم ذلك عمد سادتها في بداية الدعوة المحمدية إلى الإعراض عن سماع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم خشية الإيمان به، فهو كما قال عنه الجاحظ: "لا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب"¹، بل إنّ كفار قريش كانوا يحذرون حجاج بيت الله الحرام من مغبة الالتقاء بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يسحرهم بكلامه حسب زعمهم، وقصة إسلام الشاعر الطفيل بن عمرو و الدوسي* خير دليل على ذلك؛ إذ كان يضع القطن في أذنيه خوفاً من أن يبلغه شيء ممّا يقوله النبي صلى الله عليه وسلم، ثمّ ما لبث أن قال في نفسه والله إنّني لشاعر لبيب، فما يمنعني من أن أنصت لهذا الرجل، فإن كان الذي يقوله حسنا قبلته، وإن كان قبيحا تركته، وهذا دليل على أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يخاطب عقول النّاس وفق آليات لغويّة منطقية تجعل المتلقي يحكم على نفسه بنفسه إزاء ما يتلقى من أوامر ونواهي ومواعظ وإرشادات، فيقوده تفكيره العقلي إلى الانصياع والامتثال طواعية لا كرها، وأحاديث التّرجيب و التّرهيب التي جمعها الإمام المنذري (581هـ-656هـ) هي من هذا الباب، حيث تحت المخاطب على القيام بأشياء وترهبه من القيام بأشياء أخرى.

على هذا الأساس جاءت إشكالية هذه الورقة البحثية على النحو الآتي: ما مدى حضور الحجاج

المنطقي في الحديث النبوي؟ وقد انبثق عن هذه الإشكالية سؤالان فرعيان، هما:

- ما هي أبرز الآليات الحجاجية المنطقية الأكثر حضوراً في أحاديث التّرجيب و التّرهيب؟
- كيف ساهمت تلك الآليات الحجاجية في إعطاء الملفوظ النبوي القوة الإنجازية اللازمة قصد دفع المتلقي نحو الاقتناع بفعل المرغّب فيه، وترك المرهّب منه؟

2. بين اللغة والمنطق والحجاج

إن المتتبع لتاريخ نشأة اللغة لا بد أن يتوقف مطولاً أمام تلك العلاقة التي تجمع بين اللغة والمنطق، إذ هما وجهان لعملة واحدة لا يمكن الفصل فيما بين طرفيها، فإذا كان المنطق يمثل أرقى مراتب تجليات العقل البشري الذي به تتم عمليات الإدراك والتفكير والإنتاج والإبداع، فإنّ اللغة هي الأداة التي بها يعبر الإنسان عن تلك الأفكار والمعتقدات وعن حاجاته و مشاعره، بها يتحاور و يناقش ويجادل ويحاجج.

ولعلّ أول من تطرق للعلاقة الكائنة بين اللغة والمنطق هم فلاسفة اليونان أمثال أفلاطون (platon) وسقراط (socrat) وأرسطو (Aristote) وذلك من خلال وضعهم للأسس المنطقية كالاستدلال و القياس والاستنتاج التي تقوم عليها العبارات اللغوية، والتي عرفت باسم "القضايا" وهو مصطلح له دلالاته العقلية المكوّن من المحمول والموضوع أو المسند و المسند إليه (Sujet / prédicat).

وفي العصر الحديث ظهر تيار جديد من الفلاسفة اللغويين أمثال فغنشتاين و راسل و ديكرت، هذا الأخير يؤمن " بفطرية اللغة أو الفطرية اللغوية التي تقوم على فرضية مفادها وجود بنيات لغوية مجردة جاهزة للاستعمال عند الإنسان"² أي أنّ ما يميز الإنسان عن الحيوان هو تلك الصلة الوثيقة بين العقل و الحدث الكلامي، و هذا الطرح أدى إلى حدوث تأثير كبير على الدرس اللغوي بداية من القرن السابع عشر، حيث أصبح يعتقد "بوجود تطابق تام و كامل بين البنيات المنطقية Structure logique و البنيات اللغوية Structure linguistique مادامت اللغة ليست إلا تعبيراً منطقيّاً عن العقل البشري"³. فمهما تعددت اللغات و تنوعت فإنها تتفق في كونها تخضع لقواعد منطقية واحدة.

إنّ التحليل اللغوي أصبح قائماً على " تطبيق المنطق الرياضي للوقوف على تركيب اللغة المنطقي العام، وهذا يعني أنّ المنطق والرياضة أخذتا يقتربان من اللغة لدراستهما وكشف نظامهما التركيبي و الدلالي"⁴ و هذا ما أدى إلى ظهور علم اللغة الرياضي⁵ Mathematicallinguistics كما كان لظهور الرسالة المنطقية ل فغنشتاين الأثر البالغ في اعتماد "التحليل المنطقي من أجل الكشف عن الصورة المنطقية التي تخفيها الصورة النحوية للغة"⁶ وهو ما تجسّده نظرية الرسم المنطقي Théorie de l'image التي تبنت فكرة "اللغة رسم للعالم" وأنّ الحمل على التصديق والإنجاز إنما يكون انطلاقاً من "مبدأ الماصدية وانعكاسات هذا المبدأ على اللغة من حيث تحليل القضية و الجانب المفهومي للغة"⁷، هذا الأمر سنعمل على توضيحه أكثر من خلال تحليلنا لنماذج من أحاديث الترهيب والترغيب التي اعتمدت الحجاج بالتعريف و الما صدق، إنّ الهدف الرئيس من الإتيان بمقدمات حجاجية من طرف المتكلّم هو الوصول إلى التأثير الكافي في المتلقي لجعله يقوم بأعمال إنجائية، و عليه فإنّ "معنى القضية في المقام الأول هو الغرض الإنجائي منها"، الذي لا يتحقق إلا بواسطة روابط وثوابت منطقية ذات طبيعة لغوية، يقول راسل: "فالثوابت المنطقية لا بد من دراستها على أنها جزء من اللغة لا على أنها جزء مما تنبئنا عنه اللغة"⁸ إن المقدمات المنطقية يكون الانطلاق منها فهي إذّا " نقطة انطلاق الاستدلال، و من هذه المقدمات: الوقائع، الحقائق، الافتراضات والقيم، هرمية القيم و المعاني أو المواضع"⁹.

3. الحجج المنطقية : Argumentslogiques :

إن المقصود بالحجج المنطقية هي تلك الحجج التي يستخدمها المخاطب والتي تكون مستندة على العقل في التأثير و الاقتناع، ذلك أن اللغة حمالة أدلة وبراهين منطقية، والقوة الاقناعية فيها هي من قبيل "الطرائق الشكلية formelle والمنطقية والرياضية في البرهنة"¹⁰ علمنا أنها تنتهي الى الطرائق الاتصالية في الحجاج عند برلمان^{perelman} **، وهي مجموع «الطرائق التي تقرب بين العناصر المتباينة بدءاً و في الأصل، وتتيح اقامة ضرباً من التضامن بينها لغاية هيكلتها أو ابرازها في هيكل أو بنية واضحة أو لغاية تقويم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تكويناً إيجابياً أو سلبياً.¹¹

و من الحجج المنطقية الواردة في أحاديث الترغيب والترهيب نذكر:

أ- حجة التناقض وعدم الاتفاق: incompatibilité

التناقض contradiction هو "أن تكون هناك قضيتان 2 proposition في نطاق مشكلتين إحداهما نفي للأخرى ونقض لها، في حين أن عدم الاتفاق أو التعارض بين ملفوظين يتمثل في وضع الملفوظين على محك الواقع والظروف أو المقام لاختيار إحدى الأطروحتين، وإقصاء الأخرى فهي خاطئة."¹²

• الحديث الأول :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما رأيت مثل النار نام هاربها ومثل الجنة نام طالها⁽¹³⁾

في هذا الحديث صورة واضحة عن التناقض الصارخ الذي قد يقع فيه العبد المؤمن وذلك من وجهتين : فمن جهة يرغب المسلم في الهرب من النار وعدم الوقوع فيها، فهو يتمنى عبور الصراط المستقيم الموضوع فوق النار لبلوغ الجنة، وفي نفس الوقت تجده لا يكتث البتة في الاستعداد لهذا الهروب، فلا يكلف نفسه عناء الاجتهاد والسعي من أجل تفادي السقوط في نار جهنم، بل العكس من ذلك تراه -كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم- نائماً نوم الهادئ المطمئن [نام هاربها] (وهي كناية عن التكاسل والتخاذل والتعاس) وهذا عين التناقض وعدم الاتفاق ، فكيف لعاقل يرى النار تقترب منه لتحرقه وهو لا يحرك ساكن للنجاة منها ! إننا إذا أمام قضيتين إحداهما تقصي الأخرى:

• الهروب من النار – يناقض - النوم

إن فعل التعجب المصحوب بالنفي *** الذي أبداه صلى الله عليه وسلم في قوله : (ما رأيت) هو من العوامل المساعدة على الحجاج المنطقي، فالتعجب هنا متضمن لقوة إنجازية تستلزم الإنكار

والتوبيخ، كما أنّ القول المجازي (نام هاربها) أنفع من القول العادي في تقوية الحجة، إن القول الحجاجي الكنائي متمثلاً في صورة النوم "هو من قبيل التمني على الله بدعوى أن الإيمان في القلب وهذا يتناقض مع القول القاضي بأن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل. وكما قال الشاعر أحمد شوقي:

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلاباً

والحجة المنطقية العكسية هي قوله أي أيضاً:

و ما استعصى على قوم منال إذا الإقدام كان لهم ركاباً

والجهة الثانية تكمن في رغبة العبد دخول الجنة ولكنه ينام في طلبها، وهذا "تناقض حادث في علاقة الملافيظ بالمقام"¹⁴ وعليه، فالمقام هنا مقام عمل لا نوم، إذ الجنة أحق من الدنيا بأن تؤخذ غلاباً، وعظم الجائزة يفرض عظم المشقة. وعليه: [الدخول إلى الجنة تناقض النوم له] وقد ورد في السنة النبوية أنّ سلعة الله غالية، ألا إنّ سلعة الله الجنة ولا تنال إلا بتعب ونصب وكد واجتهاد لا بتقصير ونوم.

• الحديث الثاني:

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن بين أيديكم فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي"¹⁵

إنّ التعارض والتناقض الذي بينه هذا الحديث هو في قوله صل الله عليه وسلم (يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً).

والحجاج المنطقي في هذا الحديث يركز على دفع المسلم إلى التمسك بدينه وقت وقوع الفتن وعدم الزيف، فالكيس من اعتزل الفتنة واستبرأ لدينه.

إنّ الإتيان بمثل هذه المقدمات الحجاجية غرضه هو إظهار مدى التناقض والتعارض الحاصل في القضية، وذلك من أجل جعل المتلقي ينفي أحد طرفيها ويؤكد الآخر، ذلك أنّ "الجمع بين فرضية ونفيها داخل نظام واحد، مبرزا تناقضها يفقد النظام اتساقه ويجعله غير قابل للاستعمال"¹⁶ إنّ التناقض يفرض علينا أن ننحاز إلى أطروحة الإيمان المطلق الدائم ونقص أطروحة الكفر.

الإيمان يناقض ويتعارض مع الكفر.

• الحديث الثالث:

عن جندب بن عبد الله الأزدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس و يحرق نفسه".¹⁷

حجة التناقض في هذا الحديث تكمن في قوله صلى الله عليه وسلم (يعلم الناس الخير وينسى نفسه).

[تعلم الناس الخير تناقض نسيان النفس] تعارض

لقد جاءت حجة التناقض قوية بفضل تدعيمها بالمثل الذي يقرب الصورة فهو نوع من الاستدلال القياسي، يقول الزمخشري عن الأمثال: «هي زيادة في الكشف وتنتهي للبيان، وتضرب العرب الأمثال لإبراز تجليات المعاني، ورفع الأستار من الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في صورة المتيقن ، والغائب كأنه شاهد، وفيه تبكيت للخصم. وقمع لصورة الجامح الأبى"¹⁸. وهذا يتطابق مع الأثر: "رب حامل للقرآن والقرآن يلعنه" وحديث "كنت أمر الناس بالخير ولا آتية وأنهى الناس عن الشر وآتية". (متفق عليه)

ب- حجة التماثل والحد: ويُعرف أيضا بـ "التعريف الحجائي"¹⁹

ذلك أن التماثل في حقيقته متوقف على التعريف Definition الذي هو "تعبير عن التماثل بين المُعرّف Le définies والمُعرّف Le définien وعند المنطقيين التعريف هو "الطريق الموصل إلى المطلوب التصوري"²⁰، والذي يستدعي حضور التعريف في الحجاج المنطقي هو جعل التعريف مقدمة استهلالية يتفق فيها أطراف التخاطب على منطلق مشترك بينهم، وهذا ما جعل التعريف "نمطا برهانيا يلجأ إليه المتكلم لامتلاك قواعد الابتداء البرهاني الذي تقوم بها محيط الاعتقاد ويضع من خلالها مأل الاقناع"²¹

وهذا ما جعل روبريو Roberio يعتمد التعريف دليلا حجائيا في الاقناع ووسيلة ناجحة في بناء

القول".²²

وقد قُسم التعريف إلى ثلاثة أنواع بحيث يوظف كل نوع بطريقة دقيقة وقف الشروط الداخلية و المقامية للحجاج وحسب الدواعي التداولية الخاصة بها:²³

❖ الأشكال المنطقية للتعريف.

❖ الأشكال البلاغية للتعريف.

❖ التعريف بالمقارنة و المخالف.

ومن أحاديث الترغيب والترهيب التي اتكأت في حجاجها على التعريفين طريق الأشكال المنطقية نذكر:

• الحديث الأول:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، و عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده ، و المهاجر من هجر ما نهى الله عنه."²⁴ اشتمل الحديث على ذكر الصفات التي بها يعرف المسلم وبها يصدق عليه المفهوم ، فإن هو عدل عن هذه الصفات خرج عن التعريف الحدّي للإسلام الخاص، ذلك أن "الإسلام نوعان: إسلام عام وإسلام خاص، والمراد بالإسلام الخاص هنا هو الذي يخص معاملة الغير، فالمسلم باعتبار معاملة الناس هو الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده"²⁵.

أما تعريف مصطلح المهاجر فهو الذي يهجر مان هي الله عنه، أي يهجر المحرمات من الذنوب والمعاصي، وهذا على عكس المفهوم السائد لمصطلح الهجرة الذي يعني الانتقال من بلد إلى آخر، إنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم يعلمنا المعنى الحقيقي للهجر ، والهجرة إنما تكون لله ورسوله.

إنَّ هذا النوع من التعاريف لمصطلحات من قبيل: المسلم، المهاجر، الكبير... هي تعاريف ذات صبغة حجاجية توجيهية، تدفع المتلقي إلى استحضارها في ذهنه لما تحمله من كثافة دلالية وبلاغية، وذلك نظرا لقصر العبارة اللغوية فيها، إنها "تكتسي صبغة التعريف شبه المنطقي حيث تجتمع صفتا التكثيف البلاغي والطابع الصارم ظاهريا للتعريف، مما ينتج عنه سلاحا مهيبا في مواجهة الأذهان القابلة للتأثير"²⁶

• الحديث الثاني:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر."، فقال رجل: إنَّ الرجل يُحِبُّ أن يكون ثوبه حَسَنًا ، و نعلُه حَسَنًا ؟ قال: " إن الله جميل و يحب الجمال: الكبير بطر الحق و غمطُ الناس."²⁷

إن المستمع لهذا الحديث تقوم عليه الحجة من خلال تعريف مصطلح الكبير، وهو الذي يَرُدُّ الحق ولا يقبله ويحتقر الناس ويزدرهم، وهي حجة كفيفة بعدم الوقوع في مثل هذا الأمر لأن نتيجه المنطقية هي الحرمان من دخول الجنة(وإن كان هذا الحرمان غير أبدي ما دام يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمد رسول الله).

إنَّ حجة التعريف هنا جاءت مصاحبة لحجاجية النفي(لا يدخل) التي تدفع المتلقي إلى القيام بعكس الشيء المعروف (الكبر) ألا وهو التواضع، فمن تواضع لله رفعه.

[الكبر ضد التواضع] ضد

• الحديث الثالث:

عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ."²⁸

إنَّ تعريف البر والإثم هو تعريف بالمفهوم الذي هو "طريقة تعريفية يكتمل فيها المفهوم بالمصادق ، ويتم عن طريق تقديم الخصائص المميزة للشيء بشكل تجريدي "²⁹

ج. الحجج القائمة على العلاقات التبادلية وعلى قاعدة العدل

réciprocité

هذا النوع من الحجج المنطقية قائم على مبدأ العلاقات المتبادلة بين طرفين، وهو يعني أن التبادل في هذه الحالة يعتمد على التناظر الذي يطبق بواسطة قاعدة العدل و خير مثال على ذلك مقولة: "ضع نفسك مكاني MettezVous a maplace، ومن الأحاديث النبوية التي اعتمدت قادة التبادل والعدل في الإقناع:

• الحديث الأول:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده يومًا، ثم قلب: "يا معاذ، والله إني أحبك" فقال له معاذ: بأبي أنت و أمي يا رسول الله ، و أنا و الله أحبك، قال: "أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك."³⁰

إن العلاقة المتبادلة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الصحابي الجليل معاذ بن جبل هي علاقة المحبة، والمحبة تقتضي أن تحب لمن تحب ما تحبه لنفسك، والنبي صلى الله عليه وسلم يحب لمعاذ ما يحب لنفسه لذلك أوصاه بعدم ترك الذكر المعين على الشكر والعبادة ، وهذا عين العدل ففي الحديث الآخر: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه". لأنَّ هذا النوع من الحجج يؤدي إلى "جعل ردة الفعل إجبارية يلها تأييد الحجة طبعاً"³¹

إنَّ حجة التبادل والعدل في هذا الحديث جاءت مقواة بالقسم الذي هو من أنواع التوكيد وأقواها (والله إنني أحبك) ، والقول المؤكد أقوى حجة من القول العادي:

❖ والله إنني أحبك: (قول مؤكد ب القسم و إن)

❖ أنا أحبك: قول خال من المؤكدات

أي أنّ " التوكيد سياق استدلالي يمكن اعتباره حجة تقود إلى نتيجة يريد المتكلم من المخاطب التسليم بها "32.

علاقة المحبة

المرسل المتلقي

قاعدة التبادل

العدل

• الحديث الثاني:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء."33

قاعدة العدل والتبادل في هذا الحديث واضحة وجليّة ، فمن المنطقي جدا أن تشمل رحمة الله من رحم العباد وحتى الحيوان، وعدالة الخالق سبحانه تقتضي رحمة عباده من فوق سبع سماوات ، إذا ما هم ارحموا عباده في الأرض .

والحجة المنطقية العكسية تقتضي خلاف ذلك فقد روي عن جرير رضي الله عنه قال : "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من لا يرحم من في الأرض لا يرحمه من في السماء)34، أي أن الرحمة هنا هي منعكس شرطي .

إن من يسمع هذا الحديث يسارع إلى رحمة من بمقدوره أن يرحمهم وبذلك يكون قد أنجز فعل الرحمة الذي رغب فيه الحديث.

د. حجة التعدية Argumentation transitivity :

تقوم هذه الحجة على خاصية التعدية التي تتميز بها "ضروب من العلاقات التي تتيح لنا أن نمر من إثبات أن العلاقة الموجودة بين أوب من ناحية وبين ب و ج من ناحية أخرى هي علاقة واحدة إلى استنتاج أن العلاقة نفسها موجودة بين بالتالي بين أوج"35 وذلك كما في المثل المشهور: "عدو عدوي صديقي" علما أنّ حجة التعدية تدخل ضمنها علاقات التساوي و التفوق والتضمن36. ومن الأحاديث النبوية التي تبرز فيها حجة التعدية بواسطة علاقة التضمن، نجد :

• الحديث الأول:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلَ وَالِدِيهِ . " قيل : يا رسول الله و كيف يلعن الرجل والديه ؟ قال: " يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ. " ³⁷

يمكن أن نمثل للبنية الحجاجية في هذا الحديث على النحو الآتي :

ح1: يَسُبُّ أَبَا الرَّجُل 1: فَيَسُبُّ الرَّجُلَ أَبَاهُ.

ح2: يَسُبُّ أُمَّ الرَّجُل 2: فَيَسُبُّ الرَّجُلَ أُمَّهُ.

النتيجة الضمنية هي : يلعن الرجل والديه . أي :

يَسُبُّ أَبَا الرَّجُل فيسب الرجل أباه يلعن أباه

(1) يستلزم (ب) يستلزم (ج)

يَسُبُّ أُمَّ الرَّجُل فيسب الرجل أمه يلعن أمه

(أ) يستلزم (ب) يستلزم (ج)

أي أن: (أ) يستلزم (ج)

أي أَنَّ هناك علاقة تضمن بين (أ) و (ج) و (أ) و (ج) غير مباشر ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقيم الحجة على الذي يَسُبُّ أَبَاءَ الْآخَرِينَ ، بإخبارنا أنه يلعن والديه ، من حيث لا يدري ، فمن ممَّا يرضى أن ينطبق عليه مثل هذا الوضع!

فالسَّامِع لمثل هذا الكلام لا بُدَّ من أن يرتدع عن سب آباء الناس، وبذلك يتحقق الهدف من الحجاج، لأنَّ حجة التعدية "توجه نمط العلاقة توجيها شرطه الضرورة ومقتضاه التتابع والاستلزام لذلك لا يصح طرف من القضية إلَّا إذا صحَّ تابعه" ³⁸

هـ- إدماج الجزأ في الكل : ³⁹

يكون الحجاج في هذه الحالة قائمًا على النموذج التالي : "ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء." وهذا من قبيل القاعدة الفقهية : " ما أسكر كثيره فقليله حرام "

والعلاقة المتكونة في هذه الحالة مرتبطة بالكمية ، فالكل يحتوي الجزء ، و تبعًا لذلك فهو أهم منه، و هو ما يجعل هذا الضرب من الحجاج في علاقة بمواضع الكم. ⁴⁰ و من نماذج الأحاديث في هذا الباب من الحجج نذكر الحديث التالي :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر . " ⁴¹

إنَّ المعنى المصرح به في الحديث يتمثل في أن مجرد ذرة من كبر في قلب صاحبها تحرمه من دخول الجنة ، و ما يفهم من هذا المنطوق هو أن من كان في قلبه كثير كبر لا يدخل الجنة من باب أولى، فما ينطبق على الجزء في هذا المقام ينطبق على الكل ، إنَّها آلية تقوم على "العلاقات التي تحكم الأجزاء بأكملها والأجزاء ذاتها فيما بينها ضمن انتمائها المتمائل لمجموعة واحدة" ⁴²

ح1: في قلبه ذرة كبر

(ن1): لا يدخل الجنة

إذن و بمفهوم الموافقة :

ح2 في قلبه كثير كبر

(ن2): لا يدخل الجنة من باب أولى

و- تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له :

يقوم هذا النوع من الحجج على مبدأ تقسيم الكل إلى فروع الناتجة عنه، أي أن الحجة هنا هي حجة التقسيم Division أو التوزيع ⁴³—Partition ، و الشرط الذي يبنى عليه الحجاج في هذا الموقف هو " أن يكون تعداد الأجزاء شاملا ، يقول " كانتيليان " : " Quintilien " " إن نسقط عند تعدادنا الأجزاء فرضية واحدة يهوي صرحنا الحجاجي كله و نصبح ضحكة للجميع . " ⁴⁴

والغاية الأساسية من اللجوء إلى التقسيم هي البرهنة على وجود المجموع و من ثم تقوية الحضور Argumenter la présence فقد يذكر المرسل حجته كليا في أول الأمر ، ثم يعود إلى تعداد أجزائها ، وذلك ليحافظ على قوتها الحجاجية ، فكل جزء منها بمثابة دليل على دعواه . ⁴⁵ و من أمثلة هذا النوع في الحديث النبوي الشريف نذكر :

• الحديث الأول:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه . " ⁴⁶ فالحجة الكلية التي أتى بها رسول الله صلى الله عليه و سلم في بداية الحديث هي : حرمة المسلم على أخيه المسلم ، ثم عمد إلى تقسيمها إلى أجزائها المكونة لها حتى يجعل منها أقوى حججيا ، فيصبح كل جزء منها دليلا في حد ذاته على حرمتها ، و ذلك على النحو الآتي :

الكل:

الأجزاء

- دمه

- ماله

- عرضه

المسلم

فلو أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم اكتفى بقوله: "كل المسلم على المسلم حرام" فربما يجد السامع في نفسه بعض التساهل و التهاون في تعظيم حرمة أخيه المسلم ، و لكن بالتفريع الذي عقب به صلى الله عليه وسلم على كلامه الأول بأن فصل في تلك الحرمة تفصيلا مبنيًا على ثلاثة عناصر (حرمة الدم ، حرمة المال ، حرمة العرض) ، قذف في روع المتلقي رهبة شديدة ، مما يجعله يتوجه إلى الكف عن ظلم أخيه المسلم و بذلك يتحقق الإقناع ، لأنّ الهدف الأساس من استعمال حجة التقسيم هي " البرهنة على وجود المجموع و من ثمة تقوية الحضور بمعنى إشعار الغير بوجود الشيء موضوع التقسيم من خلال التصريح بوجود أجزائه"⁴⁷

• الحديث الثاني :

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " كلكم راع و مسئول عن رعيته ، الإمام راع و مسئول عن رعيته ، و الرجل راع في أهله و مسئول عن رعيته ، و المرأة راعية في بيت زوجها و مسئولة عن رعيتها ، و الخادم راع في مال سيده و مسئول عن رعيته ، و كلكم راع و مسئول عن رعيته ."⁴⁸

هذا حديث عظيم تناول فيه صلى الله عليه وسلم قضية جوهريّة ، و هي المسؤولية الملقاة على عاتق كل واحد من المسلمين ، و للتنبيه على أهميتها قدمها في بداية الحديث مجملّة ، ثم عمد إلى تفصيلها تفصيلا دقيقا ، قال الشيخ بن عثيمين رحمه الله : " ذكر الرسول عليه الصلاة و السلام أعلى شيء و أدنى شيء ، قوله: "الإمام راع" و "العبد راع" و ما بينهما أيضا ما تجد أحدا من الخلق إلا هو راع و مسئول عن رعيته ، و ما من أحد إلا و فوقه ناس و تحته ناس ، فالذين فوقه مسئولون عنه ، و الذين تحته هو المسئول عنهم ."⁴⁹

و يمكن أن نمثل للتفريع الحجائي في هذا الحديث على النحو الآتي:

الإمام راع و مسئول

الرجل راع و مسئول

-الكل راع و مسئول:

المرأة راعية و مسئولة

الخادم راع و مسئول

إن الغاية من هذا التقسيم هو وضع كل واحد أمام مسؤولياته ، فلو لم يفصل صلى الله عليه وسلم في الأمر لربما قالت المرأة : أنا لا يعنيني الأمر ، فأنا مجرد امرأة في بيت زوجها ، و لقال الخادم : أنا مجرد عبد عامل ليست لي أي مسؤولية ، إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أدخل الجميع ضمن مجال المسؤولية و الرعاية ، و هذا أنفع من ذكرها مجملة

ز. الحجاج عن طريق الوصل السبيي: وله ثلاث ضروب حجاجية، وهي:⁵⁰

حجاج يرمي إلى الربط بين حدثين متتابعين بواسطة رابط سبيي: "اجتهد فنجح" و من أمثلته في الحديث النبوي الشريف، الحديث الذي روته صفية بنت أبي عبيد عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوما."⁵¹ فالحديثان هما:

إتيان العراف و سؤاله، وعدم قبول صلاته (من أتى العراف) أربعين يوما. و قد تم الربط بينهما بواسطة رابط سبيي (الفاء هنا)، حيث أن عدم قبول صلاة العبد أربعين يوما سببه ذهابه إلى العراف و سؤاله، والارتباط في هذا المقام يحقق وظيفة حجاجية هي "وظيفة الاقتضاء" أي جعل الحجة تقتضي النتيجة.⁵² - حجاج يرمي إلى أن يستخلص من حدث ما وقع سببا أحدثه، و أدى إليه نحو: نجح لأنه اجتهد.

و مثال ذلك في الحديث النبوي، ما جاء عن عبد الله بن بشر رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "طوبى لمن وجد في صحيفته استغفار."⁵³ فالحديث هنا متمثل في نيل العبد جائزة عظيمة "طوبى" بسبب حدث آخر أدى إلى هذه الجائزة، وهو في هذا المقام الاستغفار.

ح: إكثار العبد من الاستغفار.(ن): دخول الجنة (و هي نتيجة ضمنية، فالفوز بـ: طوبى يستلزم دخول الجنة).

- حجاج يرمي إلى التكهّن بما سينجر عن حدث ما من نتائج، نحو: هو يجتهد فسينجح.

ومثال ذلك الحديث الذي رواه أبو الدرداء رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "من مشى في ظلمة الليل إلى المساجد لقي الله عز و جل بنور يوم القيامة."⁵⁴ أي أنّ ما سينجر عن مشي العبد إلى المساجد في الظلمات (إشارة إلى صلاتي الصبح و العشاء)، هو لقاء الله عز و جل بالنور يوم القيامة، و من كان له نور في ذلك اليوم اهتدى به على الصراط إلى الجنة.

إنَّ الحجاج بالربط السببي يكون إما بالانتقال من السبب إلى النتيجة أو العكس، أي من النتيجة إلى السبب و هنا تحصل ما يسميها بيرلمان "الحجة البراغمية"⁵⁵ التي تعمل على توجيه السلوك من خلال تقويم عمل ما أو حدث ما تقويما إيجابية أو سلبية، ولهذا عدت من أهم وسائل الحجاج. كما أنَّ الوصل السببي قائم على مبدأ الشرط الذي هو حدوث شيء لحدوث غيره "فالشرط تعليق شيء بشيء، بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني"⁵⁶، و بهذا نصل إلى أنَّ الحجاج السببي مبني على الجملة الشرطية، وهي ما تتركب من قضيتين⁵⁷، و غالبا ما تقوم الجملة الشرطية على ثلاثة أركان:

1- أداة تؤدي وظيفة الربط و التعليق ، يصطلح عليها "أداة الشرط".

2- ركن معلق عليه يسمى "عبارة الشرط".

3- ركن معلق نصطلح عليه "عبارة الجواب".

و هذا ما يتوضح في الحديث التالي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "من قام ليلة القدر إيمانا و احتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، و من صام رمضان إيمانا و احتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه."⁵⁸

- أداة الشرط: "من"

- عبارة الشرط (جملة الشرط): قيام ليلة القدر و صيام رمضان إيمانا و احتسابا.

- جملة جواب الشرط (الركن المعلق): غفر له ما تقدم من ذنبه .

4. خاتمة:

خلصت هذه الدراسة التي دارت في رحاب أحاديث خير البرية إلى جملة من النتائج:

- يعتمد الحجاج في المقام الأول على مقدرة المخاطب (المُرسل)، وبما أنَّ الأمر هنا يتعلق بشخص النبي صلى الله عليه وسلم فلا عجب أن تكون حجته لها اليد العليا على المتلقي.
- يعد الخطاب النبوي خطابا حجاجيا منطقيا بامتياز، كيف لا وهو يخاطب العقل ويوجهه إلى الإذعان والافتناع بالحجة والدليل والبرهان.
- يهدف الحجاج المنطقي في أحاديث الترغيب والترهيب الى دفع المتلقي إلى القيام بأفعال إنجازية إما فعل شيء أو تركه.
- تنوعت الآليات الحجاجية المنطقية في كتاب "الترغيب والترهيب" حيث سجلنا حضورا قويا ل:
- حجة التناقض و عدم الاتفاق.

• حجة التبادل وقاعدة العدل.

• حجة التعددية.

- كثر معي حجة التماثل أو التعريف الحجاجي الذي غالبا ما جاء ليصحح مفاهيم اعتاد الناس عليها.
- من مظاهر الحجاج المنطقي في الحديث الشريف الحجج ذات العلاقات الرياضية من قبيل: إدماج الجزء في الكل و تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له.

5. الهوامش:

¹ البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج2، ص09.

* الطفيل بن عمرو البوسي: شاعر و سيد قبيلة دوس، قدم مكة في السنة العاشرة للبعثة، فمضى اليه رجال من قريش فقالوا له: إنا نخشى عليك و على قومك فلا تكلمه ولا تسمع منه، فقال: فوالله ما زالوا بي حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفًا (قطفًا) فرقًا (خوفًا) من أن يبلغني شيء من قوله. ثم قلت في نفسي: وإكل أماء، والله إني لرجل لييب شاعر فما بمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان الذي يأتي به حسنا قبلت، وإن كان قبيحا تركت. ينظر : السيرة النبوية لابن هشام و دلائل النبوة للبيهقي و البداية و النهاية لابن كثير .

² مصطفى غلفان، لسانيات توليدية، الأس النظرية و المنهجية، من النشأة إلى النموذج المعياري، دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع، المغرب، ط01، ص24

³ المرجع نفسه، ص27

⁴ ياسين خليل، منطق اللغة، نظرية عامة في التحليل اللغوي، ص01 و 02

⁵ المرجع نفسه، ص02

⁶ فلسفة اللغة عند لود فيغ فنتغنشتاين، جمال حمود، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01. 2009، ص50

⁷ المرجع نفسه، ص81

⁸ المرجع نفسه، ص55

⁹ عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص24

¹⁰ عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011، ص42.

** شاييم برلمان صاحب " مصنف في الحجاج " أو الخطابة الجديدة، أصدره عام 1358 بمعية تيتكا (Tytica) .

Chaim perelman et lucie Tytica, Traité de l'argumentation " lanouvelle rhétorique"

¹¹ مرجع نفسه، ص41.

¹² مرجع نفسه، ص43.

¹³ الامام المندري، الترهيب والترهيب، اعتنى به وخرج أحاديثه، دار الامام مالك، الجزائر، ط1، 2011، ج4، ص213.

** جعل " ديكرو من النفي عنصرا بارزا في الوظيفة الحجاجية، فهو يقودنا مباشرة إلى النتيجة (ن) دون أن يترك لناهامشا من الالتباس أو الشك في الذهن. ينظر : أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج، ص55.

¹⁴ عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص43.

¹⁵ الترهيب والترهيب، ج03، ص276.

¹⁶ Perlman chaim , olberchts tyteca, traite de l'argumentation, editions de l'universite de brusuelles, 5 ed, 2000, belgique, p262.

- ¹⁷ مرجع نفسه، ج 1، ص 65.
- ¹⁸ نقلاً عن الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل ابراهيم، دط، دت، ج 1، ص 417.
- ¹⁹ عبد السلام عشير، عندما تواصل غير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، افريقيا الشرق، المغرب، ط 1، 2006، ص 141.
- ²⁰ التبانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، لبنان، ط 1، 1996، ص 482.
- ²¹ علي الشيعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، ص 414، نقلاً عن محمد نعمي، مقال بعنوان: أساليب الحجاج بالشرح في الحدث النبوي، دراسة تداولية، مجلة المدونة، مع 09، عدد 01، ماي 2022، ص 923.
- ²² عبد السلام عشير، المرجع السابق، ص 141.
- ²³ عبد الله صولة، المرجع السابق، ص 201.
- ²⁴ الترغيب و التهيب، ج 03، ص 320.
- ²⁵ ابن عثيمين، شرح حاشية صحيح البخاري، ج 01، ص 63.
- Jean jaques robrieusc , rhetorique et argumentation, p16 ;²⁶ نقلاً عن فضيلة قوتال، حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط 1، 2017، ص 89.
- ²⁷ الترغيب و التهيب، ج 03، ص 344.
- ²⁸ مرجع نفسه، ج 02، ص 329.
- ²⁹ عبد السلام عشير، المرجع السابق ص 142.
- ³⁰ الترغيب و التهيب، ج 02، ص 274.
- ³¹ Douglas walton ; media argumentation, united kiungdom, 2007 ; p24. نقلاً عن فضيلة قوتال، حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية، مرجع سابق، ص 105.
- ³² عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، منشورات كلية الآداب و الفنون الإنسانية، جامعة منوبة، تونس، ط 01، 2011، ص 237.
- ³³ الترغيب و التهيب، ج 03، ص 90.
- ³⁴ مرجع نفسه ، ص نفسها.
- ³⁵ عبد الله صولة ، المرجع السابق، ص 47.
- ³⁶ مرجع نفسه، ص نفسها.
- ³⁷ الترغيب و التهيب، ج 03، ص 292.
- ³⁸ علي الشعبان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، في نماذج ممثلة من تفسير سورة البقرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط 1، 2010، ص 143.
- ³⁹ عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص 48.
- ⁴⁰ مرجع نفسه، ص نفسها.
- ⁴¹ الترغيب و التهيب، ج 03، ص 344.
- ⁴² فضيلة قوتال، المرجع نفسه، ص 159.
- ⁴³ عبد الله صولة، المرجع السابق، ص 48.
- ⁴⁴ مرجع نفسه، ص نفسها.
- ⁴⁵ عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة تداولية لغوية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 2004، 01، ص 494.
- ⁴⁶ الترغيب و التهيب، ج 03، ص 308.
- ⁴⁷ فضيلة قوتال، مرجع سابق، ص 172.
- ⁴⁸ الترغيب و التهيب، ج 02، ص 402.

- 49 ابن عثيمين، شرح حاشية صحيح البخار، ج03، ص254.
- 50 عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص49 و 50.
- 51 الترغيب و الترهيب، ج04، ص396
- 52 سامية الدريدي، الحجاج في الشعر القديم من الجاهلية إلى القرن الثالث الهجري، ص355
- 53 الترغيب و الترهيب، ج02، ص284.
- 54 المرجع نفسه، ج01، ص164.
- 55 نقلا عن عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص 50.
- 56 المرجع نفسه، ص نفسها.
- 57 الترغيب والترهيب، ج 2، ص 11.
- 58 الترغيب والترهيب، ج 2، ص 11.